



شرح قصيدة الحكم بن معبد الخراعي في التمسك بالسنة

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما الله تعالى

١٤٤١/٠٤/١٤ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد :

فهذه أيها الإخوة الكرام منظومة نافعة في التمسك بالسنة والاعتزاز بها والوصية بحفظها والمحافظة عليها ؛ لإمام علم من أئمة السلف رحمهم الله تعالى ؛ للحكم بن معبد الخزاعي الحنفي المتوفى عام ٢٩٥ للهجرة ، وهذا الإمام علم من أعلام السنة وإمام من أئمة السلف وهو من المكثرين في الرواية للحديث ومن الأئمة الثقات ، وهو من أعيان الفقهاء الحنفية وله ترجمة في كتب طبقات أعلام مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى ، فهو من أعيان الفقهاء المتفقهين على مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى ، وهو محدث وأديب وكان كثير الحديث ، ترجم له غير واحد من أهل العلم فأنثوا عليه خيراً وبَيَّنوا فضله ومنزلته ومكانته .

وهذه المنظومة عثرتُ عليها في موضعين :

- الأول : كتاب « طبقات المحدثين بأصبهان » لأبي الشيخ رحمه الله ؛ في المجلد الرابع صفحة ٥٣ .
- والموضع الآخر : في كتاب « محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب » ؛ يوسف بن عبد الهادي وجاءت هذه المنظومة في آخر الكتاب ، طُبِعَ في ثلاث مجلدات فجاءت هذه المنظومة في آخر الكتاب آخر المجلد الثالث .

وهي كما قدّمت منظومة عظيمة جداً في التمسك بالسنة والاعتزاز بها والنصيحة بالمحافظة عليها من هذا الإمام العلم رحمه الله تعالى . وله كتاب في السنّة مفقودٌ لكن نقل عنه الأئمة ؛ نقل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مواضع وسمّاه كتاب « السنّة » وهو في صفات الله تبارك وتعالى على طريقة السلف الصالح ، وسمّاه في بعض المواضع « السنّة والرد على الجهمية » .

وهذا الإمام - أعني الحكم الخزاعي رحمه الله - ممن تصدّوا للجهمية ولرّد باطلهم على طريقة السلف وأفرد في ذلك كتاباً أشرت إليه وهو كتاب « السنّة والرد على الجهمية » ، وضمّن منظومته هذه التي بين أيدينا الرد عليهم وبيان بطلان مذهبهم وفساد نحلّتهم .

وهذه المنظومة مع جازة أبياتها فهي في ستة عشر بيتاً إلا أنها منظومة حافلة وجاءت على اختصارها بزُبد وخلاصات عظيمة جداً تتعلق بالمعتقد ، وظاهرٌ في هذه الأبيات اعتزاز المصنف بهذه العقيدة التي من أكرم بها ومُنَّ عليه فكان من أهلها فهي أعظم المناقب وأجل العطايا والمنن ، وهو في هذه الأبيات جمع بين الفرح بنعمة الله سبحانه وتعالى عليه بهذه العقيدة التي كان يصدع بها واشتهرت عنه وعُرف بها كما أشار إلى ذلك في النظم الذي بين أيدينا فهو في الوقت نفسه داعية إلى هذه العقيدة بحزمٍ ونشاط .

قال الإمام الحَكَم بن مَعْبَد الحَزاعي الحنفي رحمه الله تعالى في قصيدته في التمسك بالسنة :

- ١- مَنَحْتُكُمْ يَا أَهْلَ وُدِّي نَصِيحَتِي
 - ٢- وَأَظْهَرْتُ قَوْلَ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ الَّتِي
 - ٣- أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
 - ٤- أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ لِلَّهِ دَرَّةٌ
 - ٥- وَبَعْدَهُمَا عُثْمَانُ ثُمَّ بَعْدَهُ
 - ٦- أَوْلَئِكَ أَعْلَامُ الْهُدَى وَرُؤُوسُهُ
 - ٧- وَحُبُّهُمْ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ
 - ٨- وَحُبُّ الْأُلَى قَدْ هَاجَرُوا ثُمَّ جَاهَدُوا
- وَإِنِّي بِهَا فِي الْعَالَمِينَ لَمُشْتَهَرٌ
عَنِ الْمُصْطَفَى قَدْ صَحَّ عِنْدِي بِهَا الْحَبْرُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْعَشِيِّ وَبِالْبَكْرِ
عَلَى رُغْمٍ مَنَ عَادَى وَمَنَ بَعْدِهِ عُمَرُ
أَبُو الْحَسَنِ الْمُرْضِيُّ مَنَ أَفْضَلِ الْبَشَرِ
وَأَفْضَلُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَمْشِي عَلَى الْعَقْرِ
وَحُبُّهُمْ فَخْرُ الْفَخُورِ إِذَا افْتَخَرَ
فَفَرَضٌ وَمَنَ آوَى النَّبِيِّ وَمَنَ نَصَرَ

مَنَحْتُكُمْ يَا أَهْلَ وُدِّي نَصِيحَتِي وَإِنِّي بِهَا فِي الْعَالَمِينَ لَمُشْتَهَرٌ

بدأ رحمه الله هذه المنظومة ببيان أنها نصيحة لمن أحبهم وأحب لهم الخير ومحض لهم النصيحة ممن يودهم ويجبهم ويجب لهم الخير ؛ فخاطبهم بهذا الخطاب اللطيف الجميل بقوله :

((مَنَحْتُكُمْ يَا أَهْلَ وُدِّي نَصِيحَتِي)) ؛ والمنحة العطية والهبة . فقلوه ((منحتكم)) : أي أعطيتكم أو أهديتكم قدّمت لكم ((يا أَهْلَ وُدِّي نَصِيحَتِي)) ؛ والنصيحة : هي أجمل وأتمن ما يُهدى ويُمنح ، الصحابة رضي الله عنهم كان يمنح بعضهم بعضاً ويهدي بعضهم بعضاً أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، يلقي الواحد منهم أخاه فيقول : ألا أهدى لك هدية ؛ ثم يهديه حديثاً عن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

((مَنَحْتُكُمْ يَا أَهْلَ وُدِّي)) أي يا من قام لهم في قلبي مودة ومحبة فأحببتكم وأحببت لكم الخير .

((نَصِيحَتِي)) مفعول منح . والنصيحة : هي إرادة الخير للغير بأن يقدّم له أجمل وأطيب وأحسن ما ينفعه ويكون به صلاحه وفلاحه واستقامته ، قد جاء في الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» .

ثم قال رحمه الله : ((وَإِنِّي بِهَا فِي الْعَالَمِينَ لَمُشْتَهَرٌ)) ؛ "بها" الضمير عائد هنا على النصيحة التي سيقدمها لمن أحبهم وقام في قلبه ود لهم . وعندما نقرأ هذه النصيحة هي في الحقيقة خلاصة لمعتقد أهل السنة والجماعة .

فهو إذاً يقول ((وَإِنِّي بِهَا)) أي هذه النصيحة التي هي معتقد أهل السنة والجماعة ((مُشْتَهَرٌ)) وهذا فيه أنه رحمه الله تعالى اشتهر في زمانه بالاعتقاد الصحيح اعتقاد أهل السنة دعوةً إليه ونصحاً به ونهياً وتحذيراً عن ضده وما خالفه من الاعتقادات الباطلة التي سيشير إلى أهمها أو أخطرها في تمام نظمه .

((وَإِنِّي بِهَا فِي الْعَالَمِينَ لَمُشْتَهَرٌ)) أي أنا مشتهرٌ بين الناس بهذه العقيدة ، ومن المعلوم أن هذه الشهرة إنما تكون عن دعوةٍ ظاهرة وبارزة لهذه العقيدة وتحذير مما خالفها ، فهو رحمه الله اشتهر بذلك وله كما قدّمت كتابٌ في السنة حافل كان له مكانة عند أهل العلم ونقلوا عنه نقولاتٍ كثيرة لكنه من الكتب المفقودة في زماننا هذا ، لكن توجد عنه نقولات في بعض كتب أهل العلم ومن نقل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مواضع من كتبه .

ثم يؤكد هذا المعنى بقوله :

وَأُظْهِرْتُ قَوْلَ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ الَّتِي عَنْ الْمُصْطَفَى قَدْ صَحَّ عِنْدِي بِهَا الْخَبْرُ

((وَأُظْهِرْتُ قَوْلَ الْحَقِّ)) شهرتي بهذه العقيدة عقيدة أهل السنة مبني على أنه أظهر قول الحق وعمل على إظهاره ودعوة الناس إليه ، فلكونه أظهر قول أهل الحق والسنة كان ذلك سبباً لاشتهاره رحمه الله تعالى بالمعتقد الصحيح . قال : ((وَأُظْهِرْتُ قَوْلَ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ الَّتِي عَنْ الْمُصْطَفَى قَدْ صَحَّ عِنْدِي بِهَا الْخَبْرُ)) ؛ أظهرتها أي : دعوةً إليها ، ومنافحةً عنها ، وجمعاً لدلائلها ، وترتيباً لأبوابها ومسائلها ، ونصحاً للعباد بالتمسك بها .

((وَأُظْهِرْتُ قَوْلَ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ الَّتِي عَنْ الْمُصْطَفَى قَدْ صَحَّ عِنْدِي بِهَا الْخَبْرُ)) أي : اعتنيت عنايةً دقيقة ببيان القول الحق والمعتقد الصحيح المبني على السنة الماثورة المروية المنقولة عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام بالأسانيد الصحيحة ، ولهذا قال : ((قَدْ صَحَّ عِنْدِي بِهَا الْخَبْرُ)) .

ثم بدأ يذكر المعتقد الذي صح عنده به الخبر فقال :

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْعَشِيِّ وَبِالْبَكْرِ

وفي بعض النسخ ((عَلَيْهِ سَلَامٌ بِالْعَشِيِّ وَبِالْبَكْرِ)).

قال : ((أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ)) صلى الله عليه وسلم ، والمراد في أمته أو من أمته صلوات الله وسلامه عليه .

((بعد محمد)) أي خاتم النبيين وإمام المرسلين وقدوة الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه .

وقوله : ((عَلَيْهِ سَلَامٌ بِالْعَشِيِّ وَبِالْبَكْرِ)) ؛ البكر جمع بُكْر وهو أول النهار . فعليه السلام أول النهار وآخره ، أي عليه سلامٌ دائمٌ مستمر ما دام الليل والنهار .

أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ لِلَّهِ دَرُهُ عَلَى رُغْمٍ مِّنْ عَادَى وَمِنْ بَعْدِهِ عُمَرُ

((أَبُو بَكْرٍ)) خبر إنَّ المتقدم في البيت الذي قبله ؛ خير الناس أي خير أمة محمد ، المراد بالناس : أمة محمد عليه الصلاة والسلام بعد محمدٍ ، وقوله ((بعد)) توضح ذلك ، ((خير الناس بعد محمد)) توضح أن المراد من أمته عليه الصلاة والسلام ، وإلا في الأمم الأنبياء والرسل خيرٌ من الصحب الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم .

فقوله ((خير الناس)) هذا يشمل لكن لما قال ((بعد محمد)) قيّد هذه الخيرية بأمة محمد عليه الصلاة والسلام . فأبو بكر رضي الله عنه هو خير أمة محمد صلى الله عليه وسلم بل دلت النصوص أنّ أبا بكر رضي الله عنه خير الناس في جميع الأمم بعد النبيين كما جاء في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كُھُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مَا خَلَا النَّبِيِّينَ)) ؛ فأبو بكر رضي الله عنه هو أفضل الناس في جميع الأمم بعد النبيين عليهم صلوات الله وسلامه .

((أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ)) ؛ وهذا لقبه رضي الله عنه لكمال تصديقه . والصديق هو رتبة عليّة من أعلى رتب الدين وأرفعها وتأمل ذلك في قوله تبارك وتعالى : ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] قدّمهم على الشهداء وقدّمهم على الصالحين ، فرتبة الصديق هي أعلى الرتب وأرفعها ((أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ لِلَّهِ دَرُّهُ)) ؛ والدّر هو العطاء ، يقال درّت الناقة أو كثر درّها أي حليتها .

فقوله ((الله درّه)) هذه كلمة تطلقها العرب على الرجل الذي كثر خيره وكثر عطاؤه ، فالمراد بالدر الخير والعطاء . ويقال أيضاً كما أسلفت عن الناقة درت الناقة أي نزل منها الحليب الكثير الغزير ، ثم فيما بعد كثر استعمال العرب لهذه الكلمة في مقام التعجب وبيان مكانة الشخص أو منزلته .

قال : ((أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ لِلَّهِ دَرُّهُ)) ؛ وقيل في معنى لله دره : أي لله أعماله ، الدرّ : هي الأعمال التي قام بها وفعّلها رضي الله عنه وهي الله أي قدّمها خالصة له سبحانه وتعالى .

((أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ لِلَّهِ دَرُّهُ عَلَى رُغْمٍ مِّنْ عَادِي)) ؛ رُغْم مصدر في الفعل رَغِمَ ، والرغام هو التراب ، يقال رغم أنفه أي لصق أنفه بالتراب ، فعلى رغم من عادي أي وإن رغمت أنوف من عادوا هذا الصحابي أو عادوا الصحابة أجمعين ، فهو خير الناس وإن رغمت أنوف العداة أعداء السنة وأعداء الحق وأعداء الصحب الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين .

((وَمِنْ بَعْدِهِ عُمَرُ)) ؛ خير الناس من بعد الصديق عمر الفاروق بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه ، فهو أفضل الناس بعد أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه .

وَبَعْدَهُمَا عُثْمَانُ ثُمَّتَ بَعْدَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْمُرْضِيُّ مِنْ أَفْضَلِ الْبَشَرِ

((وَبَعْدَهُمَا)) أي بعد أبي بكر وعمر .

((عُثْمَانُ)) أي ابن عفان ذي النورين الخليفة الثالث رضي الله عنه وأرضاه .

((ثُمَّتَ)) ورسمها بالتاء المفتوحة وليست المربوطة . وثم حرف عطف ألحقت به التاء المفتوحة وثُقِرَ عند الوقف عليها ثمت بالتاء المفتوحة وليست المربوطة كما هو مكتوب أمامكم .

((وَبَعْدَهُمَا عُمَانُ ثُمَّتَ بَعْدَهُ)) أي ثم بعده .

((أَبُو الْحَسَنِ الْمَرْضِيِّ)) أي علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخليفة الرابع الراشد رضي الله عنه وأرضاه ، والمرضي أي خصاله وأعماله ومناقبه وفضائله رضي الله عنه .

((أَبُو الْحَسَنِ الْمَرْضِيِّ مِنْ أَفْضَلِ الْبَشَرِ)) ؛ وقوله "من أفضل البشر" هذا عائد على الأربعة رضي الله عنهم وأرضاهم ، فهؤلاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي هم من أفضل البشر فضلاً ومكانةً ومنزلةً ، وهم أفضل الناس بعد النبيين .

أَوْلَيْتَكَ أَعْلَامُ الْهُدَى وَرُؤُوسُهُ وَأَفْضَلُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَمْشِي عَلَى الْعَفْرِ

((أَوْلَيْتَكَ)) أي الذين تقدم ذكرهم ((أَعْلَامُ الْهُدَى)) .

((وَرُؤُوسُهُ)) جمع رأس ، والرأس : هو أعلى كل شيء ، ويطلق على سيد القوم ومقدمهم يقال له رأس القوم أي سيدهم ومقدمهم فهؤلاء رؤوس القوم ، رأس يُجمع رؤوس وأرؤس ، فهؤلاء رؤوس القوم أي المقدمون فضلاً ونبلاً وعلماً وعملاً ومكانةً .

((وَأَفْضَلُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَمْشِي عَلَى الْعَفْرِ)) ؛ العفر المراد به ظاهر التراب ، ظاهر التراب يقال له عفر ، ولهذا العوام يسمون التيمم عفور ويقولون تعفّر فلان أي تيمّم لماذا ؟ لأنه ضرب بيديه على العفر الذي هو ظاهر التراب .

فيقول ((أَوْلَيْتَكَ أَعْلَامُ الْهُدَى وَرُؤُوسُهُ وَأَفْضَلُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَمْشِي عَلَى الْعَفْرِ)) ؛ وقوله ((من في الأرض)) هذا مقيد بما سبق ذكره بعد محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فهم أفضل من مشى على الأرض من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وَحُبُّهُمْ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَحُبُّهُمْ فَخْرُ الْفُخُورِ إِذَا افْتَحَرَ

((وَحُبُّهُمْ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ)) ؛ حب هؤلاء فرض أي افترضه الله سبحانه وتعالى على كل مسلم فهو دين وقربة وفريضة افترضها الله سبحانه وتعالى على كل مسلم ، فحبهم إيمان وبغضهم نفاق .

((وَحُبُّهُمْ فَخْرُ الْفُخُورِ إِذَا افْتَحَرَ)) ؛ أيضاً حب هؤلاء فخر ويُعد من منن الله العظيمة عليك أن جعل في قلبك حباً لهؤلاء ، فهذه من المنن العظيمة بخلاف - والعياذ بالله - من كان في قلبه غل تجاه هؤلاء الأخيار .

وتأمل ما في هذا من فخر ومنقبة وفضيلة في قول نبينا عليه الصلاة والسلام «المرء مع من أحب» كيف فرح الصحابة رضي الله عنهم بهذا الحديث فرحاً عظيماً حتى قال أنس : " ما فرحنا بشيء بعد الإسلام فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم «المرء مع من أحب» " . قال أنس : " وأنا أحب أبو بكر وعمر ولم أبلغ ما بلغا أو ما وصلا إليه من العمل ، وأرجو الله أن يحشرني معهما بحبي لهما " .

فحبهم فخر ؛ إذا كان في القلب حب صادق لهؤلاء الأ خيار فهذا فخر ومنقبة عظيمة وخير كبير يمن الله سبحانه وتعالى به على من شاء من عباده ، بخلاف حال الضلال الذين قام - والعياذ بالله - في قلوبهم الغل والحقد والضغائن والسخائم تجاه هؤلاء الأ خيار الأفاضل رضي الله عنهم وأرضاهم .

ثم بعد هذا التخصيص بذكر فضل هؤلاء الأربعة وحبهم ومكانتهم عمم فقال :

وَحُبُّ الْأُولَى قَدْ هَاجَرُوا ثُمَّ جَاهَدُوا فَفَرَضُ وَمَنْ آوَى النَّبِيَّ وَمَنْ نَصَرَ

فبعد أن خص الأربعة الراشدين بالذكر عمم الصحابة أجمعين بهذا البيت حيث قال :

((وَحُبُّ الْأُولَى)) ؛ والأولى : بمعنى الذين . "وحب الألى" : أي الذين .

((قَدْ هَاجَرُوا ثُمَّ جَاهَدُوا فَفَرَضُ)) أي الله فرض علينا حب الصحابة أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ، وفي القرآن آيات كثيرة تثني على الصحابة وتبين رضا الله عنهم ورضاهم عنه وتعدد مناقبهم وفضائلهم ، بل إن الله سبحانه وتعالى قد أثنى عليهم في التوراة المنزل على موسى وفي الإنجيل المنزل على عيسى من قبل أن يوجد الصحابة ومن قبل أن يمشوا على الأرض رضي الله عنهم وأرضاهم .

قال : ((ففرضُ وَمَنْ آوَى النَّبِيَّ وَمَنْ نَصَرَ)) أي وكل من آوى النبي عليه الصلاة والسلام ونصره صلى الله عليه وسلم .

والناظم رحمه الله كما تلاحظون بدأ المعتقد بذكر فضل الصحابة ؛ وهذا ملحظ جميل جداً في بيان العقيدة ، بدأ تقرير المعتقد وذكر المعتقد ببيان فضل الصحابة رضي الله عنهم وخيريتهم ومكانتهم العظيمة ومنزلتهم العلية وأن حبهم دين وقرية إلى الله سبحانه وتعالى .

لماذا بدأ بهم في ذكره للمعتقد؟! لأن المعتقد جملةً وتفصيلاً إنما وصل إلينا من طريق الصحابة فأصبح حب الصحابة جزء من الدين جزء من العقيدة ، من لم يستقم قلبه على حب الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم لا يستقيم له دين ولا يستقيم له معتقد ، لأن الصحابة هم حملة الدين ونقلته، إنما وصل إلينا الدين جملةً وتفصيلاً من طريق الصحابة ، القرآن الكريم كلام الله سبحانه وتعالى عندما يُسنده المسند يكون في طريقه إلى النبي عليه الصلاة والسلام إلى جبريل إلى الله سبحانه وتعالى صحابي جليل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من حفاظ كتاب الله ، وجميع الأحاديث المروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم كلها تروى من طريق الصحابة

أصحاب النبي الكريم رضي الله عنهم وأرضاهم ؛ " حدثنا فلان عن فلان عن فلان عن فلان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " فالصحابه هم حملة هذا الدين ونقلته فحبهم من حب الدين ، والوقية فيهم والانتقاص لقدرهم والتقليل من مكانتهم هو في الحقيقة طعنٌ في الدين نفسه ، ولهذا قال بعض أهل العلم المتقدمين ومنهم الإمام الدارمي وغيره : إن المذهب الذي وجد وقام على الطعن في جُلِّ الصحابة مع الثناء على بعض آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام هو دسيسة قُصِدَ بها أصالةً إبطال الدين ، لأن الطعن في الناقل طعنٌ في المنقول ، ولهذا قال أبو زرعة الرازي : " إن الدين حق والقرآن حق وإنما أدى إلينا ذلك الصحابة ، فهؤلاء أرادوا أن يجرحوا شهودنا فهم بالجرح أولى ؛ فهم زنادقة " فالطعن في الناقل طعنٌ في المنقول .

فإذاً ملحظ الناظم رحمه الله ملحظ متين عندما أراد أن يقرر المعتقد بدأ المعتقد بالكلام على حب الصحابة ؛ وفعالاً إذا أحب الإنسان الصحابة حباً صادقاً وعرف قدرهم وعرف مكانتهم وارتبط بالمروي والمنقول عنهم وتبع الآثار والنقول التي عنهم ولها مكانة في قلبه هذا هو الدين وهذا هو المعتقد الحق .

ثم بعد ذلك شرع رحمه الله تعالى في ذكر بعض التفاصيل المتعلقة بالمعتقد .

قال رحمه الله :

- ٩- وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ لَهُ الْفَضْلُ وَالنَّعْمَاءُ وَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ
 ١٠ سَيَبْدُو لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَارِزاً فَبُصِرُهُ جَهْرًا كَمَا نُبْصِرُ الْقَمَرَ
 ١١ وَأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَيْسَ بِمُحَدَّثٍ وَمَنْ قَالَ مَخْلُوقٌ فَبِاللَّهِ قَدْ كَفَرَ

هذه الآيات الثلاثة ذكر فيها خلاصة دقيقة جداً ومتينة للغاية في تحرير المعتقد فيما يتعلق بالله وأسمائه وصفاته وكلامه وإخلاص الدين له تبارك وتعالى وإفراده بالعبودية والذل والخضوع ، فجمع رحمه الله تعالى في هذه الآيات الثلاثة أقسام التوحيد الثلاثة : توحيد الألوهية ، وتوحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات . قال :

وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ لَهُ الْفَضْلُ وَالنَّعْمَاءُ وَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ

((وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ)) أي المعبود الذي له الذل والخضوع والعبادة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما " الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين " .

((لَا رَبَّ غَيْرُهُ)) أي هو رب العالمين ولا رب لهم سواه ، وهو المعبود بحق ولا معبود بحق سواه .

((لَهُ الْفَضْلُ وَالنَّعْمَاءُ وَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ)) ؛ أي تفرد وحده سبحانه وتعالى بالفضل ﴿ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ

يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢٩] . وبالنعماء - جل وعلا- ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾

[النحل: ٥٣] ، ﴿ وَإِنْ نَعُدُّوْا نِعْمَةَ اللّٰهِ لَا تُحْصُوْهَا ﴾ [النحل: ١٨] . وأيضاً الحمد ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْاَوَّلِي وَالْاٰخِرَةِ ﴾ [القصص: ٧٠] ، ﴿ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ ﴾ [الفاتحة: ٢] تفرد جل وعلا بالحمد لا شريك له . والشكر بفتح الكاف والأصل أن يقال الشكر ؛ لكن الروي أو القافية ساكنة فإذا أبقي الكاف ساكنة يلتقي ساكنين فحرك الكاف بالفتح لضرورة الشعر قال والشكر وإلا هي والشكر . فقال وَأَشْهَدُ أَنَّ اللّٰهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ لَهُ الْفَضْلُ وَالنَّعْمَاءُ وَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ .

سَيَبْدُو لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَارِزاً فَنُبْصِرُهُ جَهْرًا كَمَا نُبْصِرُ الْقَمَرَ

وهذا البيت يثبت فيه رحمه الله تعالى رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة مثله قول ابن أبي حاتم في قصيدته الحائية
 وقل يتجلى الله للخلق جهرةً كما البدر لا يخفى وربك أوضحُ
 فيقول في هذا البيت ((سَيَبْدُو لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَارِزاً)) أي أن الله سبحانه وتعالى يبدو أي يتجلى ويظهر جل في علاه للخلائق بارزا : أي ظاهراً يروونه حقيقة بأبصارهم أي يراه أهل الإيمان ، ولهذا قال :
 ((فَنُبْصِرُهُ جَهْرًا كَمَا نُبْصِرُ الْقَمَرَ)) أي نبصره بأعيننا حقيقة كما نبصر القمر . والتشبيه هنا للرؤية بالرؤية وليس للمرئي بالمرئي ، أي : كما أننا نرى القمر حقيقة بأبصارنا لا نضام في رؤيته ولا نتضام ولا نتضار حسب روايات الحديث فإن المؤمنين يوم القيامة سيرون ربهم جهرة بأبصارهم ، وهذا يشير فيه إلى ما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تُضَامُونَ - لَا تُضَامُونَ ، لَا تُضَارُونَ - فِي رُؤْيَيْهِ)) جاءت روايات لهذه اللفظة في هذا الحديث .
 والرؤية ثابتة في القرآن في مواضع منها قوله جل في علاه ﴿ وَجُوهُهُمْ مِّنْ أَلْفَاظٍ مَّوَدَّةٍ ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿ [القيامة: ٢٢-٢٣] ، والأحاديث في رؤية الله عز وجل في سنته صلى الله عليه وسلم أحاديث متواترة عن النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

ففي هذا البيت أثبت رحمه الله الرؤية ، وفي البيت الذي بعده قال :

وَأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَيْسَ بِمُحَدَّثٍ وَمَنْ قَالَ مَخْلُوقٌ فَبِاللَّهِ قَدْ كَفَرَ

((وَأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَيْسَ بِمُحَدَّثٍ)) ؛ بمحدث أي مخلوق . ليس كلام الله بمخلوق بل كلامه صفة من صفاته سبحانه وتعالى ، وإضافة الكلام إلى الله هو من إضافة الصفة إلى الموصوف وليس من إضافة المخلوق إلى الخالق . فنشهد أن كلام الله ليس بمحدث ، ومراده ب ليس بمحدث أي : ليس بمخلوق .
 قال ((وَمَنْ قَالَ مَخْلُوقٌ)) من قال إن كلام مخلوق ((فَبِاللَّهِ قَدْ كَفَرَ)) أي كفر بالله .

والأئمة رحمهم الله تعالى أئمة السلف حكوا الإجماع على ذلك واللالكائي رحمه الله وغيره نقلوا نقولات كثيرة عن أئمة السلف في بيان أن القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فقد كفر .

قال رحمه الله :

١٢ أَدِينُ بِقَوْلِ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدٍ وَمَا بِقَوْلِ الْجَهْمِ دِنْتُ وَلَا الْقَدْرُ
١٣ وَلَا الرَّفْضُ وَالْإِرْجَاءُ دِينِي وَإِنِّي لَبَانَ عَلَى التَّنْزِيلِ ثُمَّ عَلَى الْأَثَرِ
١٤ فَدِينِي دِينَ قَيْمٍ قَدْ عَرَفْتُهُ أَبُوحُ بِهِ إِنْ مُلِحِدٌ دِينُهُ سَتَرَ

هذه الآيات يذكر رحمه الله بعد أن ذكر خلاصة للمعتقد بحسب ما يقتضيه هذا النظم المقتضب المختصر ، وعادةً في مثل هذه المنظومات المختصرة تُذكر خلاصات تدل على غيرها وترشد إلى سواها ، يعني مثلاً باب الصفات واحد فإذا ذكر لك بعض الصفات فالقول فيها واحد ، فهو ذكر لك جزءاً من المعتقد في الصفات مثل عليه ببعض صفات الله والقول في جميع صفات الله واحد ، لكنه اقتصر هنا على ذكر الكلام وذكر الرؤية لكثرة تشغيب المبطلات من الجهمية وغيرهم حول هذه الصفات إنكاراً لها وجحداً وعدم إيمان وإثارة للشبهات فاقتصر رحمه الله تعالى على ذلك . وهذه الآيات الثلاثة المبدوءة بقوله :

أَدِينُ بِقَوْلِ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدٍ وَمَا بِقَوْلِ الْجَهْمِ دِنْتُ وَلَا الْقَدْرُ

((أَدِينُ بِقَوْلِ الْهَاشِمِيِّ)) أي الذي أعتقده وأدين الله سبحانه وتعالى به هو دين الهاشمي محمد ، الدين الذي أدين الله به والعقيدة التي أعتقدها هي العقيدة المنزلة على محمد عليه الصلاة والسلام ، قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ يُبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥] ، وقال ﴿ إِنْ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩] ، وقال ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] ، فالدين الذي - يقول - أعتقده وأؤمن به هو دين الهاشمي مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

((وَمَا بِقَوْلِ الْجَهْمِ دِنْتُ وَلَا الْقَدْرُ)) ؛ وفي بعض النسخ ((وما بمقال الجهم)) . فالدين الذي أدين الله به هو دين محمد عليه الصلاة والسلام .

قال ((وَمَا بِمَقَالِ الْجَهْمِ دِنْتُ)) أي لا أدين ولا أعتقد بمقال الجهم .

فبعد أن ذكر المعتقد الحق الذي هو دين الهاشمي محمد صلى الله عليه وسلم الذي يدين الله به بين براءته من العقائد الباطلة المخالفة لعقيدة محمد عليه الصلاة والسلام ، نظير هذا قول الشيخ حافظ حكيمي في منظومته جوهره التوحيد بعد أن قرّر المعتقد الحق وبماذا يدين أتبع ذلك بقوله :

إني براء من الأهواء وما ولدت ووالديها الحيارى ساء ما ولدوا

أنا أتبرأ من كل العقائد الباطلة التي تولدت من أفكار وعقول هؤلاء ونبتت في الأرض ، فيقول كل هذه العقائد أنا أتبرأ منها .

فإذاً قوله ((وما يَقُولُ الْجَهْمُ)) هذا كله من باب إعلان البراءة من جميع العقائد والنحل والمذاهب المنحرفة الباطلة .

قال : ((وما يَقُولُ الْجَهْمُ)) أي بن صفوان الترمذي رأس الجهمية . والجهمية مقاتلهم مبنية على تعطيل الصفات وإنكارها وجحدها وعدم الإيمان بها إضافةً على عقائد أخرى باطلة تتعلق بالإيمان وتعلق بالقدر وغير ذلك .

قال ((وما بِمَقَالِ الْجَهْمِ دِنْتُ)) أي لا أدين ولا أعتقد بل أتبرأ من عقيدة الجهم بن صفوان .

((ولا الْقَدْرُ)) ويشير بقوله ((ولا القدر)) إلى البراءة من عقيدة القدرية . والمراد بالقدرية عند الإطلاق : أي

القدرية النفاة المعتزلة نفاة القدر الذين يقولون لا قدر ، ويقولون والعياذ بالله أن العبد هو الخالق لفعل نفسه ، فصَحَّ وانطبق عليهم أنهم مجوس هذه الأمة ، لأن المجوسية مبنية على اعتقاد وجود خالقين ؛ وهذا هو ما يعتقده هؤلاء ، يعتقدون أن الله هو الخالق للإنسان وأن الإنسان هو الخالق لفعل نفسه ، فهو يتبرأ أيضاً من عقيدة القدرية أي القدرية النفاة وهم المعتزلة .

قال :

ولا الرَّفْضُ وَالْإِرْجَاءُ دِينِي وَإِنِّي لَبَانٍ عَلَى التَّنْزِيلِ ثُمَّ عَلَى الْأَثَرِ

((ولا الرَّفْضُ)) معطوف على ما قبله ((وما بِمَقَالِ الْجَهْمِ دِنْتُ ولا الْقَدْرُ)) .

((ولا الرَّفْضُ وَالْإِرْجَاءُ دِينِي)) : أي ولا أدين ولا أعتقد بعقائد أهل الرفض وأهل الإرجاء .

أما أهل الرفض : فهم الذين اشتهروا بالطعن في الصحابة ولاسيما خيار الصحابة رضي الله عنهم ويأتي في مقدّمة من يطعنون فيه - قاتلهم الله أنى يؤفكون - أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وعن الصحابة أجمعين . فدين الرفض مبني على ذلك على الوقيعة والطعن والسب لأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام . وسبحان الله !! دين الله مبني على الذكر والتسبيح والتهليل ولما ضلَّ هؤلاء وانتكست عقولهم أصبح تسبيحهم في ذكرهم في الصباح والمساء لعن أخيار الصحابة . فالناس من أهل الإيمان كل صباح ومساء يسبِّحون ويهللون ويحمدون الله ويذكرونه وهؤلاء يشتغلون بالطعن واللعن والسب لخيار الأمة وأفضل أمة محمد صلوات الله وسلامه عليه ؛ وهو دين من أبطل المذاهب وأفسدها وأبعدها عن جادة الحق والصواب ، ولهذا لما انبنى هذا المعتقد على الطعن في الصحابة فسد المعتقد برقته ، كما قدّمنا إذا انقطعت الصلة بين الإنسان وبين الصحابة ماذا يعني ذلك ؟ انقطاع الصلة بينه وبين الدين ، ولهذا لما قام دين أولئك على الطعن في الصحابة فسد دينهم كله جملةً وتفصيلاً ، وهذا من شؤم معتقد أولئك أعاذنا الله .

قال ((ولا الرِّفْضُ والإِرجاءُ دِينِي)) أي ليس ديني دين المرجئة . والإِرجاءُ أصله في اللغة : التأخير ومنه قوله ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١١١] أي أجزه . والسلف أطلقوا على كل من أخرج العمل من مسمى الإيمان بأنه مرجئ . والمرجئة : هم من يخرجون العمل من مسمى الإيمان ولهم عقائد باطلة مبنية على ذلك .

فيعلن الناظم رحمه الله وهو من أعيان مذهب أبي حنيفة رحمه الله يعلن براءته من الإرجاء ؛ وهذه تجعل طالب العلم يقف وقفة هنا وينظر في عدد من أعيان مذهب الإمام أبي حنيفة أعلنوا البراءة من الإرجاء وأعلنوها صراحة وقرروا ذلك بوضوح ودانوا بذلك وتقربوا به إلى الله لأنه أمرٌ واضح والأدلة فيه ظاهرة ، وأعلن بعضهم أن التقليد في مثل ذلك من سنن العوام ، يعني لا ينبغي التقليد إن كان في الناس زلة لعالم أو خطأ أو نحو ذلك لا يتبع في خطأه ، ولهذا بعض أعيان المذهب أعلنوها صراحة وقالوا إن التقليد في مثل ذلك من سنن العوام ، مثل ما قال ذلك الألويسي وغيره . فالشاهد أن هذه كلمة جميلة يقف عندها طالب العلم المحقق ولها نظائر كثيرة جداً في أعيان مذهب الإمام أبي حنيفة .

والإمام أبو حنيفة رحمه الله نُقل عنه الإرجاء الذي أطلق عليه إرجاء الفقهاء وأيضاً نُقل عنه ما يُشعر برجوعه عن ذلك ، مثل ما نُقل ذلك ابن أبي العز الحنفي رحمه الله في شرح العقيدة الطحاوية وغيره من أهل العلم . فإذا هذه مسألة جديرة حقيقة بالوقوف عندها وجمع نظائرها من كلام أعيان مذهب الإمام أبي حنيفة رحمهم الله تعالى ممن أعلنوا الحق وأعلنوا أيضاً البراءة من مذهب الإرجاء بما يحتوي عليه هذا المذهب من أخطاء ومخالفات .

قال : ((وإِنِّي لَبَانٍ عَلَى التَّنْزِيلِ ثُمَّ عَلَى الْأَثَرِ)) ؛ لبانٍ أي أبني ديني أقيم على التنزيل على الوحي المنزل من الله ، فعلى ذلك أبني ديني .

((وإِنِّي لَبَانٍ أَي دِينِي عَلَى التَّنْزِيلِ)) على التنزيل أي الكلام والوحي المنزل من الله سبحانه وتعالى .
((ثُمَّ عَلَى الْأَثَرِ)) ثم على المأثور والمنقول .

■ يحتمل هذا السياق أن يكون مراده بقوله التنزيل أي القرآن ﴿وَأَنَّهُ لَنَزَّلِ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿ [الشعراء: ١٩٢-١٩٣] ، والمراد بالأثر أي السنة المأثورة عن النبي عليه الصلاة والسلام ، فيقول أنا أبني ديني على الكتاب والسنة .

■ ويحتمل أن يكون المراد بالتنزيل القرآن والسنة لأن كلاهما وحي منزل من الله تبارك وتعالى ، ويكون المراد بالأثر النقول المأثورة عن الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم .

وقد قيل : " من كان على الأثر فهو على الطريق " . لأن الله أمرنا أن نكون على أثر الصحابة وعلى طريقتهم

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالنَّاصِرِينَ الَّذِينَ تَبِعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠] ، قال تعالى

﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] .

قال رحمه الله :

فَدِينِي دِينَ قِيَمٍ قَدْ عَرَفْتُهُ أَبُوْحُ بِهِ إِنْ مُلِحِدُ دِينُهُ سَتَرَ

((فَدِينِي دِينَ قِيَمٍ)) ؛ الدين الذي أدين الله به - وهذه خلاصة له ونبذة عنه - دينٌ قيمٌ لماذا ؟ لأنه مستمد من مثل ما ذكر من التنزيل والأثر هو دين قِيَمٍ ، واستقامته نابعة من سلامة المنبع ، فمن نهل من المعين الأول وجد بقية المنابع كدرة ، فهو أخذ من المنبع ومن أخذ من المنبع لم يضل كما قال عليه الصلاة والسلام ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا)) .

فعقيدة أهل السنة عقيدة لا ضلال فيها لأن كل صاحب سنة يقول : " أعتقد كذا لقول الله تعالى كذا ، وأعتقد كذا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا " ؛ فهو لا يضل لأن دينه مبني على الكتاب والسنة ، بخلاف الآخر الذي يقول : " أعتقد كذا لأنه كذا ، وبما أنه كذا إذاً يكون كذا " يبني عقيدته على جدل وعلى فلسفة وعلى منطق وعلى علم كلام ، ولهذا تجد أصحاب تلك العقائد لا يثبتون على عقيدة واحدة ينتقلون ، وقد قيل : " من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل " ، أما صاحب المعتقد الحق المستمد من الكتاب والسنة فدينه دين قِيَمٍ ، وهو منة الله على من شاء من عباده ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [الأنعام: ١٦١] فهو هذا هو دين قِيَمٍ ﴿ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: ٥] فهو دينٌ قِيَمٍ مستقيم لا اعوجاج فيه ولا انحراف قائم على الحجج البينات والدلائل الواضحات في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

((فَدِينِي دِينَ قِيَمٍ قَدْ عَرَفْتُهُ)) أي وضح لي وتبيّن بأدلته الواضحات وبراهينه الساطعات ، وهذه ميزة لأهل السنة ؛ العقيدة عندهم واضحة عرفوها وتبينت لهم وهي واضحة عندهم . أحد أئمة السلف جاءه رجل من أهل الكلام وقال أريد أن أتناظر معك ؟ قال : " أما أنا فعلى بينة من ديني ، وأما أنت فرجل شك فابحث عن رجل شك مثلك فتناظر معه " ، أنا على بينة من ديني يعني الدين واضح لا يحتاج لا فلسفة ولا جدال ولا مناظرة ؛ أعتقد كذا لقول الله تعالى كذا ، وأعتقد كذا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا . ما في مجال لخصومة ومجادلة ولجج وغير ذلك ، قد قال عليه الصلاة والسلام ((مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوْتُوا الْجَدَلَ)) ثُمَّ تَلَا: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨] . وفي هذا المعنى يقول السلف : " من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل " .

فهو يقول : ((**فَدِينِي دِينَ قِيمٍ قَدْ عَرَفْتُهُ أَبُوحُ بِهِ إِنَّ مُلْحِدُ دِينِهِ سَتَرٌ**)) ؛ يقول الإسلام علانية وعقيدتي لا أخفيها أظهرها وأصدع بها وأعلنها في كل مكان وليس فيه شيء أستخفي منه ، لكن الملحد والزنديق وصاحب العقائد الباطلة تجده يستخفي بعقيدته ولا يظهرها إلا في المكان الذي يظن أنها تروج أو يكون له فيها أتباع ، ولهذا يستخفون بعقائدهم وتكون في الخبايا وفي الزاويا ، أما صاحب العقيدة يصدع بها ؛ يقولها في الدرس ، ويقولها في المنبر ، ويقولها في كتابه ، ويقولها في كل مجال . فيقول أبوح بها ، أنا - يقول - لا أخفيها ، الدين علانية الإسلام علانية لا أخفيها أظهرها في كل مكان .

يقول : ((**أَبُوحُ بِهِ إِنَّ مُلْحِدُ دِينِهِ سَتَرٌ**)) دينه مفعول ستر ؛ ستر دينه : أي أخفى دينه . وهذا الذي يذكره رحمه الله هنا في قوله ((دينه ستر)) هذه من علامات أهل البدع أنهم دائماً يستخفون ويتكتمون على عقائدهم ومذاهبهم ونحلهم وينشرونها في الخفاء ومن وراء الكواليس ، بينما صاحب الحق يعلنها بوضوح والحق أبلج واضح .

قال رحمه الله :

١٥ **بِهَذَا أَرْجُو مِنْ إلهِي عَفْوَهُ** **وَأَرْجُو بِهَذَا الْفَوْزَ يَا رَبِّ مِنْ سَقَرٍ**
١٦ **أَجْرِي يَا رَحْمَنُ إِنَّكَ سَيِّدِي** **وَجَارِكُ فِي أَمْنٍ وَفِي أَعْظَمِ الْحَبْرِ**

ختم رحمه الله بهذه الوسيلة التي يتوسل بها إلى الله ، وأعظم ما تتوسل به إلى الله العقيدة الصحيحة والإيمان الصحيح فيقول :

بِهَذَا أَرْجُو مِنْ إلهِي عَفْوَهُ **وَأَرْجُو بِهَذَا الْفَوْزَ يَا رَبِّ مِنْ سَقَرٍ**

((بهذا)) أي: المعتقد الذي ذكرت طرفاً منه ونبذة عنه في هذه المنظومة .

((أرجو من إلهي عفوهُ)) وفي بعض النسخ ((بهذا أَرْجِي مِنْ إلهِي عَفْوَهُ)) .

أرجو : أي ألتمس وأطلب من الله سبحانه وتعالى عفوهُ أي بهذا المعتقد ، وأعظم ما تلتمس به عفو الله الإيمان الصحيح والعقيدة الصحيحة .

((وَأَرْجُو بِهَذَا - أي المعتقد - الْفَوْزَ يَا رَبِّ مِنْ سَقَرٍ)) أي أكون من الفائزين الذين ينجون من سقر وهي

النار، قد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ، فيقول أرجو بهذه العقيدة الفوز من سقر : أي أكون من الناجين الذين يُكتب لهم النجاة فيفوزون فوزاً عظيماً .

ثم يدعو في خاتمة هذا النظم بهذا الدعاء يقول :

أَجْرِي يَا رَحْمَنُ إِنَّكَ سَيِّدِي وَجَارُكَ فِي أَمْنٍ وَفِي أَعْظَمِ الْحَبْرِ

((أَجْرِي)) أي كن مجيراً لي أي ناصرأ ومؤيدأ وعضدأ ومعينأ وحافظأ وواقياً .

((يا رَحْمَنُ)) يتوسل إلى الله سبحانه وتعالى باسمه الرحمن .

ويتوسل إليه بأنه السيد ((إِنَّكَ سَيِّدِي)) ؛ والسيد اسم من أسماء الله جاء في السنة عن النبي عليه الصلاة والسلام حيث قال ((السَّيِّدُ اللهُ)) ، فالسيد الذي له السيادة المطلقة خلقاً ورزقاً وتديراً وعطاءً ومنعاً وخفضاً ويده أزمّة الأمور والذي يُقصد ويُلتجأ إليه وحده الله سبحانه وتعالى فيقول : ((أَجْرِي يَا رَحْمَنُ إِنَّكَ سَيِّدِي)).

((وَجَارُكَ فِي أَمْنٍ)) أي من كان جارك أي ملتجئاً إليك معتصماً بك لائذاً بحماك متوكلاً عليك فهو في أمن ، لأن من التجأ إلى الله كفاه ووقاه ﴿الَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] ، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] ؛ فهو في أمن أي لا خوف عليه ولا حُزن .

((وَجَارُكَ فِي أَمْنٍ وَفِي أَعْظَمِ الْحَبْرِ)) ؛ الخبر أي السرور . فمن كان جارك يتحقق له أمران : الأمن والسرور ؛ الأمن وضده الخوف ، والخبر الذي هو السرور ضده الشقاء والتعاسة . فمن كان الله جاره ناصره ومؤيده وحافظه فإنه في أمنٍ وسرور ؛ أمنٌ فلا خوف عليه ، وسرورٌ فلا شقاء ؛ فيسعد في دنياه وأخراه .

والخلاصة أن هذه منظومة عظيمة ونافعة ومفيدة جداً وفيها خلاصة للمعتقد ، وأنصح كثيراً للإخوة الذين ينتشر في بلادهم مذهب الإمام أبي حنيفة أن يعملوا على نشر هذه المنظومة المختصرة الجميلة لأحد أعيان مذهب الإمام أبي حنيفة والتي تحتوي على خلاصة لمعتقد السلف رحمهم الله تعالى .

وأسأل الله عز وجل أن يتقبل مني ومنكم مجلسنا هذا ، وأن يجعله في موازين حسناتنا أجمعين ، وأن يصلح لنا شأننا كله وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين . أسأل الله عز وجل أن يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولمن قرأنا منظومته يومنا هذا - الحكم بن معبد الخزاعي - وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات . اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبليغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصائب الدنيا . اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

وصلّى الله وسلّم على رسول الله .